الزاوية التجانية باب الخضراء – تونس

الإمام الخطيب الحاج الحبيب بن حامد

أولـــيــــاء الله

﴿ الخطبة الأولى ﴾

يوم الجمعة 14 جمادى الآخر 1436 هـ / الموافق 3 أفريل 2015 م

الحمد لله،

الحمد لله الذي اختار من عباده من صَلُحَ للعبادة وجعلهم خُدّاماً وقسمهم اقساما وخصّهم بعنايةٍ ونظر إليهم ورعاهم وأخذ عليهم عهداً ومَوْثِقاَ وصافاهم فاصطفاهم وناداهم وحباهم بالوصل فرفعهم من حضيض نفوسهم إلى حَضْرَةِ الأُنس به.

ونشهد أنّ سيّدنا محمّداً مثالٌ لمن اهتدى وقدوة لمن اتّقى وخاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى صلّى الله عليه وعلى آله الأتقياء الأولياء وعلى صحابته أهل الخِلِّ والوفاء وعلى كلّ مؤمن سعيد ومن تبعهم بإحسان إلى يوم اللقاء.

من يُطع الله ورسوله فقد رشد واهتدى ومن يعص الله ورسوله فقد غوى واعتدى.

عباد الله،

يقول الحقّ سبحانه وتعالى في مُحكم تنزيله ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[[1]](#footnote-1)

يذكر لنا الحقّ سبحانه وتعالى أنّ عبادا من عباده بعد إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وقضائه خيره وشرّه، بعد إيمانهم كانوا يتّقون بامتثال أمره واجتناب مناهيه حتّى لبسوا حُلّة التّقوى فصارت التّـقوى شعارُهم وخوفُهُ مسكَنُهُم والحذرُ من مكره توجّهُهم وملاذُهم فأكثروا من مراقبة مولاهم في السرّ والعلن واجتهدوا في إخلاص العمل لله وحده ولم تُشغلهم الدّنيا وزينتها عن مراقبة الملِكِ العلاَّم فاصطفاهم مولاهم وقرّبهم إليه وتولّى أمرهم واحسن شأنهم.

إنّهم أولياء الله الذين ولاّهم مولاهم لموالاتهم له وإخلاصهم له ولمداومتهم على مراقبته والرجوع والفزع إليه كلما انحرفوا عن الطّريق الصواب، قال تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[[2]](#footnote-2)، هؤلاء العباد لهم البُشرى في الحياة الدّنيا بمذا ؟ بمحبّة الله لهم وكتَابَة القَبولَ لهم في الدّنيا والتفضّل عليهم بالمبشّرات، بالرّؤيا الصّالحة التي هي جزء من النبُوّة فما نَبَّأَ اللهُ نبيّاً ولا تولَّى وليّاً إلاّ جاءت رُؤيتُهُ حقّاً مبشِّرةً له ومُعلنةً له عن صلاح حاله ومآله يكرمه الله تبارك وتعالى بها إظهاراً لخصوصيّته بين خلقه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ »[[3]](#footnote-3)، وكان الإمام أحمد يقول « الرُّؤْيَا تَسُرُّ الْمُؤْمِنَ وَلَا تَغُرُّهُ »، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ... الحديث »[[4]](#footnote-4)، ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ أي كما تبشّرهم الملائكة في قبورهم وتبشّرهم أيضا يوم لقاء ربّهم فهُم الغرباء ضنائن[[5]](#footnote-5) الرّحمان. قال صلّى الله عليه وسلّم « بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي والذين يحييون ما أماتوا من سنّتي المتمسّكون بما أنتم عليه »[[6]](#footnote-6)، أي محبّة واعتقاداً وعملاً صالحا.

فهم صحائف الله المنشورة في الأرض بهم يُحيي الله الأرض ويُنبت الزّرع ويدُرّ الضّرع ويدفع بهم البلاء عن أقوام استحقّوا العذاب من السماء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه مُخبرا عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال « مَهْلًا عَنِ اللَّهِ مَهْلًا، لَوْلا شَبَابٌ خُشَّعٌ، وشُيُوخٌ رُكَّعٌ، وَأَطْفَالٌ رُضَّعٌ، وبَهَائِمُ رُتَّعٌ لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبًّا، ثُمَّ لَرُضَّ رَضًّا[[7]](#footnote-7) »[[8]](#footnote-8).

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾[[9]](#footnote-9)، لا يَعِدُ الله ثمّ يُخلِفُ أبدا حاشاه إنّما يُنفِّذُ سبحانه وتعالى كلّ ما وعد به من البشرى وهي التقريب والتفريد والإنعام وطيب العيش والطمأنينة والرّبح التامّ دنيا وأخرى.

وكذلك لا تبديل لكلمات الله أي لا يكون الوصول إلى هذا الفوز العظيم إلاّ بشروطه من إيمان كامل ثابت وعمل صالح والدُّؤُوب والمثابرة عليه والرّجاء من الله القَبول وإخلاص العمل له وحده سبحانه وتعالى وكثرة الدّعاء للقبول وكثرة التضرّع للخلاص من معضلات الأمور.

والوليّ مِنْ والى فلانٌ فلاناً أي قَبِلَ كلَّ أقواله وصدّقه فيها. وتولّى فلانٌ فلاناً أيضا أي تولَّى أمره بيده وتولّى حفظه وتولّى الدّفاع عنه من كلّ مكروه، فوليُّكَ هو الذي يتولّى أمرك باستمرار.

والوليّ هو االعالم العامل بعلمه وهو من يعِظّم كلّ من قال لا إله إلاّ الله ويصبر له ويدعو له بالخير ويعينه ما استطاع لوجه الله ولوجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا يُضمر له حقدا ولا شرّا ولا يستنقصه في قلبه ولا يعاديه وإلاّ فإنّه عادى الله تعالى وعادى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعادى جميع المسلمين قاطبة لأنّهم إنّما هم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى.

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ « مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا »[[10]](#footnote-10)

وفي رواية «إِنَّ اللهِ حَرَّمَ مِنْكِ وَاحِدَةً، وَحَرَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثا : دَمَهُ، وَمَالَهُ، وَأَنَ يُظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوْءِ»

سمى بالمسجد الحرام لحرمه القتال فيه منذ دخول النبي المصطفى إلى مكة المكرمة منتصراً

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ »[[11]](#footnote-11)، وفي طيّه من والى لي وليّا فقد واليته كذلك.

فعظّموا إخواني ما عظّم الشرع وأحسنوا الظنّ بالله وبعباد الله « خصلتان ليس فوقهما في الخير خصلة حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله »

عَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنْ مُلُوكِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ »، قَالُوا بَلَى، قَالَ « كُلُّ ضَعِيفٍ مُسْتَضْعِفٍ ذِي طِمْرَيْنِ[[12]](#footnote-12) لا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ[[13]](#footnote-13) »[[14]](#footnote-14) وفي رواية « رُبَّ أَشْعَثَ[[15]](#footnote-15) أَغْبَرَ[[16]](#footnote-16) ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ » أي لو سأل الله تعالى لاستجاب له.

ربّنا أمرتنا بالسّؤال ووعدتنا الإِجَابَةَ فأجب دعاءنا واعطنا سُؤْلنا وتكرّم علينا بحشرنا في زمرة من أحببت من عبادك.

اللهمّ اغفر لنا واجعلنا من عبادك المتّقين الطائعين آمين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

1. سورة يونس الآية 62 - 64 [↑](#footnote-ref-1)
2. سورة يونس الآية 62 - 64 [↑](#footnote-ref-2)
3. أخرجه البخاري في صحيحه بَاب الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ [↑](#footnote-ref-3)
4. أخرجه البخاري في صحيحه بَاب النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ [↑](#footnote-ref-4)
5. ضنّ بهم عن غيرهم [↑](#footnote-ref-5)
6. أخرجه مسلم في صحيحه بَاب بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ والترمذي وابن ماجه [↑](#footnote-ref-6)
7. الرَّضُّ : الدَّقُّ والجَرْشُ. وقيل : رَضَّهُ رَضّاً إِذا كَسَرهُ. ورُضَاضُ الشيء فتاته وكل شيء كسرته فقد رَضْرَضْتَهُ [↑](#footnote-ref-7)
8. الطبراني في المعحم الكبير [↑](#footnote-ref-8)
9. سورة يونس الآية 64 [↑](#footnote-ref-9)
10. ابن ماجه في سننه بَاب حُرْمَةِ دَمِ الْمُؤْمِنِ وَمَالِهِ [↑](#footnote-ref-10)
11. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» البخاري في صحيحه بَاب التَّوَاضُعِ [↑](#footnote-ref-11)
12. الثوب الخلق الرث القديم [↑](#footnote-ref-12)
13. أبر الله قَسَمَه : صدقه وأجابه وأمضاه [↑](#footnote-ref-13)
14. الطبراني في المعجم الكبير [↑](#footnote-ref-14)
15. من تغير شعره وتلبد من قلة تعهده بالدهن [↑](#footnote-ref-15)
16. عليه الغبار [↑](#footnote-ref-16)